المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ٢٠٠١/١/٢٧

قول على قول

السادات.. المحرر الأعظم..

□ مر على مصر خلال القرن العشرين، كثيرون ممن حرروها، من قيد هنا أو هناك، وفى مجال أو فى آخر، مفكرون وسياسيون. لكن البطل الشهيد أنور السادات، سوف يظل فى تاريخ مصر، المحرر الأعظم والوطنى الأعظم.. لا لأنه الأول بعد أحمس طارد الهكسوس منذ آلاف السنين فحسب، ولكن لأن حياته كلها، منذ بدايات شبابه، كانت قربانا لمصر بين كل يوم وكل ليلة!!

وقبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كنت أتابع بإعجاب وانبهار، ذلك الفتى الأسمر، وهو يقف خلف القضبان فى المحاكمات!! كان ذلك الفتى (أنور السادات) وقودا يشعل شبابنا ضد الإنجليز وأعوان الإنجليز. نجده متهما فى قضية اغتيال أمين عثمان المتعاون وقتها مع بريطانيا.. ومتهما خلف القضبان فى قضية قنابل ٦ مايو.. وقضايا ١٩٤٦.. هاربا من مطاردات الإنجليز، عاملا فوق سيارات النقل، تباعا يحمل الأثقال فوق السيارات، متخفيا مع الصيادين، أو رواد المقاهى ملازما للوطنى الكبير عزيز المصرى.. مجردا من رتبته العسكرية فى الجيش.....!!

(قال لى عام ٧٩ فى الإسماعيلية: وجدت نفسى فى زنزانة مجردا من كل ما يوحى لى بأى مستقبل، بعد فصلى من الجيش. لم يكن معى فى الزنزانة إلا وعاءان.. واحد لمياه

أشربها. وواحد لقضاء الحاجة!!
ولم تكن أقصى أمانى تتعدى أن أجد عملا بالثانوية العامة.. لكن.. لم يخطر ببالى أبدا.. أن أكون الآن رئيسا لمصر!! إنها إرادة الله.. ويرزق من يشاء بغير حساب...!!).

□ وحين قامت الثورة، لم يظهر أى (بطل) منها...!! إنما كان أنور السادات وحده، الجسور الشجاع، هو الذى ظهر للقصر وللإنجليز وللدنيا وللشعب.. يذيع البيان الأول للثورة فى السابعة من صباح ٢٣ يوليو!! سمعته بنفسى.. ولم أصدق وقتها أن هذا البطل الأسطورى لايزال على قيد الحياة، بعد أن اختفت أخباره!!

□ وظل أنور السادات، هو (الوحيد) الذى تمتع بثقة عبدالناصر ولازمه حتى مماته!! وظل هو الوحيد من بين زملاء عبدالناصر فى الثورة، الذى اختاره نائبا وحيدا له يعلم علم اليقين أنه سيكون الرئيس المقبل، لو حل قضاء الله ومات عبدالناصر فى وقت أحاطت به الأمراض والمؤامرات!! وعاشت مصر فترة حالكة السواد، حين تسلم أمرها الفعلى، إذناب للسوفيت حتى أصبحت المقدرات العسكرية والاقتصادية كلها فى قبضة موسكو. وكانت مصر قاب قوسين أو أدنى، من السقوط النهائى فى دائرة الشيوعية. ومن يقرأ مذكرات مراد غالب التى تنشر فى الأهرام الآن، يدرك كيف كان مصير العسكرية المصرية مرتبطا بمصالح السوفيت فى مواجهة الولايات المتحدة. وكان السوفيت لا يصدرون لنا إلا السلاح الذى يريدونه هم. حتى وصلت استهانتهم بنا - كما ورد فى مذكرات مراد غالب - أن وافقوا للسادات فى بداية حكمه على نوع متقدم من الطائرات، بشرط بقائها فى موسكو وسفرها لمصر عند اللزوم ! فخبط أنور

السادات على ترابيزة اجتماع القادة السوفيت فى موسكو صائحا: ما هذا الكلام!! سلاحى لابد أن يكون تحت يدى!! وبهت القادة.. لأنهم لم يصادفوا مثل هذا الأسلوب من عبدالناصر!!

□□□

وحين ولى السادات حكم مصر

فى ٦ اكتوبر ١٩٧٠، كان يدرك بحنكته ودهائه، أن (الورثة) الماركسيين لحكم عبدالناصر، يتربصون به!! وهو لم يابه بحياته شخصيا طوال عمره.. إنما كان قلقا على مصير مصر على أيدى الطغاة المنقسمين الذين يريدون الانفراد بالتهام مصر!! وحين قرب موعد انقضاضهم عليه بادرهم قبل أن يفيقوا!! وكان يوم ١٥ مايو ١٩٧١، يوم التحرير الأول من نفوذ أذناب السوفيت الذين ارتدوا قميص عبدالناصر!! لكن أنور السادات وقد بدأ (سلسلة التحرير) ظل يحسب الأمور بطريقة تختلف تماما عن طريقة الهزيمة فى ٥ يونيو ١٩٦٧!! ففى عصر الطبل والزمر الإعلامى.. كانت كل أبواق مصر تؤكد لنا وللعالم، أن الجيش المصرى أقوى جيوش الشرق الأوسط.. سيتناول الإفطار فى مصر.. والغداء فى تل أبيب!! ونجحت مصر(!!) فى إقناع العالم، بانهاسوف (تعتدى) على إسرائيل.. فتحفز العالم كله ضد مصر.. ومن يقرأ محاضر جلسات مجلس الأمن منذ يونيو ١٩٦٧ حتى صدور القرار ٢٤٢ فى نوفمبر ينهله حجم السخط العالمى على مصر (المعتدى عليها)!! كانت إدارة سياسية فاشلة.. ألبت الدنيا علينا.. وكانت إدارة عسكرية غارقة فى أشياء لا صلة لها بالدفاع عن الوطن!! وحين فكر البطل الشهير فى تحرير تراب مصر من الاحتلال الإسرائيلى الذى جلبته الإدارة المصرية السابقة تغير منهجه

١٨٠ درجة!! استدرارا لعطف العالم.. ونشدانا للسلام.. وكلام عن عدم قدرتنا على اختراق بارليف!! وفى مفاجاة صاعقة لكل

أجهزة المخابرات، انقضت مصر على إسرائيل، فهرب جنودها كفئران الصحراء واستغاثت بالولايات المتحدة!! قال لى البطل الشهيد فى المعمورة يوم ٢ سبتمبر ١٩٨١ (كان لازم أقول بيجين صديقى.. وكان لازم أقول ساحول النيل!! أنا بكده كتفت إسرائيل وجردتها سياسيا.. والعالم كله وقف معانا وعملنا كامب دافيد وبنطهر سينا كلها لكن لا بيجين صديقى ولا النيل رايح إسرائيل!! دى سياسة!!)

□ فى ١٩٧٤ حرر البطل الشهيد اقتصاد مصر من الانغلاق... وبدأت أبواب مصر تنفتح.. والمصريون الذين كانوا لا يسمح للواحد منهم بالسفر إلا بخمسة جنيهات!! ملأوا البلاد العربية وعادوا لمصر بثروات هائلة... وبدأ التشغيل (الحقيقى) للتصنيع المصرى وأعلن السادات أن الاتحاد السوفيتى سوف ينهار(!!) وأن العرب الذين لم يحضروا معه اجتماع فندق مينا هاوس سوف يندمون وقد حدث كل ما تنبأ به بالتفصيل الدقيق!!

وبدأ (المحرر الأعظم) فى هدم السجون والمعتقلات السياسية والافراج عن جماعات تدعى الإسلام.. لأنها - بعد ذلك - كافأته باغتياله!!

لكن أنور السادات، ذلك المحرر الأسطورى والوطنى الأعظم، لم يكن يرضيه تشرد الملايين من سكان منطقة القتال.. فأعاد افتتاح القناة فى (٥ يونيو) ١٩٧٥ وعاد سكان السويس وبورسعيد والإسماعيلية من الشتات إلى أراضيهم.. كما عاد سكان سيناء المحررة

لكن أنور السادات، المحرر

الأعظم لم يكتف بذلك، إنما قرر التحرير السياسى للإنسان المصرى، فوضع أولى خطوات التنظيم الحزبى بالتصريح لقيام الأحزاب... تلك الأحزاب التى كان الهم الأكبر لاثنين منها.. التخلص من السادات محررهم نفسه!!.

لكن أنور السادات المحرر الأعظم لمصر لم يحرر سيناء من المحتلين الصهاينة فحسب، ولم يحرر الإنسان المصرى من زوار الفجر وأذان الحوائط. إنما أراد أن يحرر الصحراء نفسها من لونها الأصفر!! وأنشأ مزرعة الصالحية الهائلة فى قلب صحراء بلبيس.. وزرع مدينة السادات ومدينة ٦ أكتوبر ومدينة ١٥ مايو والعاشر من رمضان فى قلب الصحراء.. فاخضرت الأرض وقامت المصانع وتمددت مصر فى أرضها البراح.. حتى تحول الطريق الصحراوى للإسكندرية ولبورسعيد.. إلى طرق زراعية!!

□ كان المحرر الأعظم قد حصل من إسرائيل وأمريكا، على حكم ذاتى لكل الضفة الغربية(!!) لمدة ٥ سنوات من ١٩٧٩ حتى ١٩٨٤ ثم يتم تطبيق مبدأ حق تقرير المصير تحت إشراف دولى لتختار الضفة الاستقلال أم غيره عام ١٩٨٤!! لكنهم وصفوه بالخيانة!!

حتى فى اعتقالات ٥ سبتمبر ١٩٨١ كان البطل مشغولا بتحرير سيناء وكان اليهود يعزفون على نغمة أن هناك معارضين لكامب دافيد. كنت فى جلسة معه لثلاث ساعات يوم ٢ سبتمبر حين قال لى: أنا موش حاضيع البلد وأترك فرصة لإسرائيل تتنصل من كامب دافيد. أنا حاجز اللى عاملين وشر لحد ما إسرائيل تمشى!! وقد قلب خصوم السادات الدنيا كلها حينما حدد إقامة ١٥٠٠ من معارضى كامب دافيد بهدف تمرير الجلاء الإسرائيلى... لكن أحدا لم يتكلم بكلمة واحدة، حين أعلن الزعيم

عبدالناصر فى مؤتمر بحلوان بعد مؤامرة ١٩٦٥ عليه: أنا اعتقلت منهم ١٤ ألفا امبارح!! فالسادات اعتقل من اعتقل لتأمين الجلاء.. وعبدالناصر اعتقل من اعتقل، لتأمين بقائه فى الحكم!!

وإذا كان التعصب الدينى الأعمى، قد اغتال السادات، المحرر الأعظم.. فقد اغتيل عدد من الخلفاء الراشدين أيضا بسبب التعصب الأعمى.. واغتيل غاندى محرر الهند!!

لقد حرر أنور السادات مصر من كثير من القيود!! وقارئ التاريخ المصرى لن يجد مثله محررا أعظم ولا وطنيا أعظم لقد حقق لمصر سلاما تنعم فيه - لأول مرة فى تاريخها الحديث - منذ ثلاثين سنة حتى الآن ثم تحرر هو من قيود الدنيا وارتفع إلى السماء.. ولاتزال رصاصات الغدر والجهل تطلق عليه... فسلام عليه يوم ولد.. ويوم مات... ويوم يبعث حيا..!

محمد إسماعيل على